

محاضرة في الدفاع المدني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه. مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا أَنْ هَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا نَبِيَّ الْإِسْلَامِ، هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْمَنْفَعَاتِ الْمُتَقَدِّمةِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَبْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي صَلَالَ مُبِينِ } الْمَنْفَعَةُ لِلَّهِ تَعَالَى - فَلِهِ الْفَضْلُ وَلِهِ الْمَنْفَعُ وَلِهِ الشَّاءُ الْحَسَنُ. وَهَذِهِ الْمَنْفَعَةُ تَسْتَدِعُ، تَلْتَزِمُ مِنَ الشَّكْرِ وَالاعْتِرَافِ لِلَّهِ تَعَالَى - بِالْفَضْلِ، وَتَسْتَدِعُ تَحْقِيقَ هَذَا الإِيمَانَ الَّذِي وَصَفَنَا بِهِ، وَالَّذِي هُوَ رَفِيعُنَا؛ وَلَهُدَا ابْنَادُ اللَّهِ وَصَفَنَا بِالْإِيمَانِ { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } مَتَى نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِذَا آمَنَّا بِاللَّهِ رَبِّنَا وَالْهَارِبِنَا، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَآمَنَّا بِكَتَبِهِ، وَآمَنَّا بِشَرِيعَتِهِ، وَآمَنَّا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَآمَنَّا بِأَمْرِهِ وَجَزَائِهِ، وَصَدَّقَنَا بِذَلِكَ، وَعَمِلْنَا بِهِ نَكُونُ حَقًّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. مَنْ قَالَ: آمَنَتْ بِاللَّهِ، وَعَصَى اللَّهَ فَلِيُسِنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. مَنْ قَالَ: آمَنَتْ بِالرَّسُولِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَمْ يَتَبَعِهِ وَلَمْ يُطِعْهُ فَلِيُسِنَ بِصَادَقَةِ مَنْ قَالَ: آمَنَتْ بِالشَّرِيعَةِ - شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ - وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا، أَوْ أَخْذَ بَعْضَهَا وَرَدَّ بَعْضَهَا فَلِيُسِنَ بِصَادَقَةِ لِأَنَّ الَّذِي يَأْخُذُ الْبَعْضَ وَيَرُدُّ الْبَعْضَ كَانَهُ مَا أَخْذَ شَيْئًا وَلَهُدَا أَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى الْيَهُودِ قَالَ تَعَالَى: { أَقْتُلُوْنُوْنَ بِيَعْصِيْنَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُوْنَ بِيَعْصِيْنَ قَمَّا جَرَاءَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّوْنَ إِلَى أَسْدَ الْعَذَابِ } الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَا جَرَأُوهُمْ إِلَّا خَرَيْ، الْخَرَيْ: أَيْ ذَلِكَ وَهُوَأَنْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُرَدُّوْنَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ، هَذَا جَرَاءَ مَنْ عَمِلَ بِالْبَعْضِ، وَتَرَكَ الْبَعْضِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى - أَيْضًا هَذَا عَنِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَقُولُونَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِرِيدُوْنَ أَنْ يُقْرَبُوْنَ بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُوْنَ يُؤْمِنُ بِيَعْصِيْنَ وَتَكْفُرُ بِيَعْصِيْنَ وَبِرِيدُوْنَ أَنْ يَنْخُدُوْنَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا } تَوْمَنُ بِيَعْصِيْنَ وَتَكْفُرُ بِيَعْصِيْنَ وَبِرِيدُوْنَ أَنْ يَنْخُدُوْنَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا { لَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا مَعَ الْكُفَّارِ } { مُذَبَّدِيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُؤُلَاءِ } إِنَّ جَاءَهُمُ الْكُفَّارُ صَوْبُوْهُمْ وَقَالُوْا: يَغْمُ الْقَوْمُ أَنْتُمْ! أَنْتُمْ عَلَى حِقْرِ، وَأَنْتُمْ عَلَى هُدَى. إِنَّ جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ - أَيْضًا - مَدْحُوْهُمْ، فَمِثْلُ هُؤُلَاءِ - أَيْضًا - لَا شَكَ أَنَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ مِثْلَ مَا قَالَ اللَّهُ: { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُوْنَ حَقًّا وَأَعْنَدُنَا لِلْكَافِرِيْنَ عَدَادًا مُهِبِّيْا } فَلَا بدَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَأْخُذُونَ الشَّرِيعَةَ، وَلَا يَرِدُونَ مِنْهَا شَيْئًا طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى - وَرَسُولِهِ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - لَمَّا أَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْنَا الإِيمَانَ مَدْحَنَا بِالْإِيمَانِ، كَانَ مِنْ تَكَمُّلِ الإِيمَانِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِالشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى - وَجَعَلَهَا دِيْنَ الْإِسْلَامِ. فَلَا يَتَمَمُ قَبْولُ الْمُسْلِمِ لِتَعْالِيمِ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِذَا تَقَبَّلَ كُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الشَّرِيعَةِ، تَقَبَّلَ ذَلِكَ وَعَمِلَ بِهِ وَلَمْ يَرُدْ مِنْهُ شَيْئًا، هَكُذا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ. كَذَلِكَ - أَيْضًا - يُؤْمِنُ، أَوْ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِلِقاءِ رَبِّنَا - سِبَّحَاهُ وَتَعَالَى - حِيثَ إِنَّا نَرْجُو ذَلِكَ، وَنَرْجُو تَوَابَةَ رَبِّنَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلْهَكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ أَحَدًا } كُلُّنَا نَرْجُو لِقاءَ رَبِّنَا، وَأَنْ تُلْقَاهُ وَقْدَ رَضِيَ عَنَّا، وَأَنْ نُلْتَمِسَ رَضَاهُ يَكُلُّ مَا أُمْرِبَهُ، وَأَلَا نُقَدِّمَ رَضَا أَحَدٍ عَلَى رَضَا اللَّهِ تَعَالَى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَالًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا } أَمَا الَّذِي يَقُولُ: أَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، بَلْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ، وَيَقُولُ: أَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذِهِ غَيْرُ صَادِقَةِ فِي أَنَّهُ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ. الَّذِي يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ لَا بدَ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فِي رَجَائِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعَمَلِ { فَلَيَعْمَلْ عَمَالًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا } .